حَقِيْقَةُ المُتَوَفِّي

فِي العَقِيْدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

إعداد :

د. ياسر أحمد سالم ربابعة

جامعة البلقاء التَّطبيقيَّة / كلية عجلون الجامعيَّة

أُستاذ مساعد/ قسم العلوم الأساسيَّة

د.عبد الرزاق محمد مصطفى ربابعه

محاضر غير متفرغ

جامعة عجلون الوطنية/ كلية الشريعة والقانون

حَقِيْقَةُ الْمُتَوَفِّي فِي العَقِيْدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

د.ياسر أحمد سالم ربابعة.

جامعة البلقاء التطبيقية/ كلية عجلون الجامعية.

قسم العلوم الأساسية/شعبة الدراسات الإسلامية .

أستاذ مساعد في العقيدة الإسلامية .

ملخص البحث :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تتناول هذه الدراسة مسألة حقيقة المتوفي ،وبيان النصوص التي تتعلق بالمتوفي، وبيان آراء العلماء في كلٍّ من هذه النصوص والتي نجدها بكثرة .

وتعتمد هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على تتبُّع معالم النصوص ومظاهرها ،ثم تحليلها وتحليل آراء العلماء فيها .

وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أنَّ من يقبض الأرواح وردت به نصوص كثيرة ومتعلقة بها من حيث حقيقة فاعل ذلك القبض، ويحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية :

١_ ما دلالة الإشارات الكثيرة إلى ملك الموت في الآيات القرآنية الكريمة؟

٢_ مَن الذي يقبض الأرواح ؟

٣_ كيف تعامل العلماء مع النصوص الواردة في من يقبض الأرواح ؟

وتنقسم الدراسة إلى مقدمة تبين أهمية مسألة الموت وأنّ بعد الموت حياة أخرى شغلت الأذهان في السؤال عنها من خلال النص ، وثلاثة مباحث ،يتناول الأول: مَفْهُوْمُ المُتَوَفِّي فِي اللُغَةِ وَالاصْطِلَاح وَالفَرْقُ بَيْنَ الوَفَاةِ وَالمَوْت ، والثاني يتناول النُّصُوْصُ القُرْآنِيَّةَ فِي حَقِيْقَةِ المُتَوَفِّي ،والثالث يتناول آرَاءُ عُلَمَاءِ العَقِيْدَةِ فِي حَقِيْقَةِ المُتَوَفِّي . وخاتمة تلخص أبرز نتائج الدراسة وتوصياتها.

الكلمات المفتاحية : المتوفي – الوفاة – ملك الموت

The truth of the deceased in the Islamic faith

Dr.Yaser Ahmed Salem Rababah.

Al-Balqa Applied University / Ajloun University College/Islamic Studies.

Abstract

This study is talking about the truth of the dead person from Islam point of view .In addition of that, this study will show the texts that regard to the truth of the dead person and the scientists opinions of these texts which are found a lot.

This study is depending on the analytical inductive approach that follows the texts with analysis them and the scientist's point of view .

This study will be on the basis of the thesis which says that who catches the soul of the dead mentioned a lot in the holy texts .So; in this study I am going to answer these questions:

1-what are the semantics of the hints at the Angel of death in the holy Qur'an؟

2-who catches the soul of the dead؟

3-How do the scientists deal with the texts that discuss this issue؟

This study is dividing into:

Introduction shows the importance of studying the death issue, and insures that there is another life after death.

Furthermore in this study will discuss the meaning of death .and the texts with the opinions of scientists.

At the end I will put the findings of this study.

Keywords: Deceased - Death - King of Death

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يَهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، وصفيُّه وخليله ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٢، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴿١﴾﴾ النساء: ١، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴿٧٠﴾﴾ الأحزاب: ٧٠، أمَّا بعد :

فإنَّ الوفاة بمعنى الموت حتمٌ لازم وحقٌّ لا شكَّ فيه ، قال تعالى : ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [السجدة:١١] ، وقال تعالى على لسان السَّحرة الذين آمنوا بربِّ موسى وهارون : ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف:١٢٥] ، وبالموت ينتقل الإنسان من دار الدُّنيا إلى دار البرزخ ، وبينهما يقع اختبار العبد المُكلَّف ، يعيش بعد الدَّار الثَّانية حياة أبديَّة : إمَّا مُكرَّماً في الجنَّة التي تمثِّل الحياة الحقيقيَّة الأبديَّة ، وإمَّا معذَّباً ...

ولمَّا كان كثير من النَّاس لا يفرِّقون بين الموت والوفاة ، وكذا يستشكل البعض منهم حقيقة المتوفِّي نظرًا لإسناده في القرآن الكريم إلى الله وكذا لملك الموت ولأعوانه من الملائكة الأكرمين الأطهار ، أحببت أن أبيِّن

حقيقة المتوفِّي لإزالة ما يستشكل البعض من ذلك ، والله الموفِّق والهادي إلى سواء السبيل .

سبب اختيار البحث

من أهم أسباب اختيارالباحث لهذا الموضوع : ما تواردت به نصوص القرآن الكريم حول حقيقة المتوفِّي، فجاء نسبتها إلى الباري عزَّ وجلَّ، وتارة أخرى إلى الملائكة، وفي هذا البحث سنتناول النُّصوص التي ذكرت كلّ ذلك بالتَّحليل والاستقصاء للوصول إلى هذه الحقيقة.

هدف الدِّراسة

استقراء النُّصوص التي ذكرت المتوفِّي بالتَّحليل؛ لإزالة اللُّبس المشكل في الأذهان حول حقيقة المتوفِّي.

منهجيَّة الدِّراسة

تقوم هذه الدِّراسة على الاستقراء والتَّحليل في فهم نصوص القرآن الكريم ، وذلك باستعراض الآيات الكريمة، والنَّظر في أقوال علماء العقيدة والتَّفسير واللغة ، وتحليلها للوقوف على حقيقة المتوفِّي.

خِطَّةُ الدِّرَاسَة

المُقَدِّمَةُ :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : مَفْهُوْمُ المُتَوَفِّي فِي اللُّغَةِ وَالاصْطِلَاح وَالفَرْقُ بَيْنَ الوَفَاةِ وَالمَوْت .

المَطْلَبُ الأَوَّلُ : مَفْهُوْمُ المُتَوَفِّي فِي اللُّغَةِ .

المَطْلَبُ الثَّاني : مَفْهُوْمُ المُتَوَفِّي فِي الاصْطِلَاح .

المَطْلَبُ الثَّالِثُ : الفَرْقُ بَيْنَ الوَفَاةِ وَالمَوْت .

المَبْحَثُ الثَّانِي : النُّصُوْصُ القُرْآنِيَّةَ فِي حَقِيْقَةِ المُتَوَفِّي .

المَطْلَبُ الأَوَّلُ : النُّصُوْصُ القُرْآنِيَّةَ فِي أَنَّ المُتَوَفِّي هُوَ الله .

المَطْلَبُ الثَّانِي : النُّصُوْصُ القُرْآنِيَّةَ فِي أَنَّ المُتَوَفِّي هُوَ مَلَك المَوْت .

المَطْلَبُ الثَّالِثُ : النُّصُوْصُ القُرْآنِيَّة فِي أَنَّ المُتَوَفِّي هُمُ المَلَائِكَة .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : آرَاءُ عُلَمَاءِ العَقِيْدَةِ فِي حَقِيْقَةِ المُتَوَفِّي .

الخَاتَمَةُ : وفيها أهم نتائج البحث .

الدراسات السابقة

أجرى الباحث قمر الدين دودو دراسة عنوانها : المباحث العقدية المتعلقة بالموت :الباحث : قمر الدين ماجديلي دودو ، وهي عبارة عن رسالة ماجستير بإشراف المشرف. د. عبد الكريم بن عيسى الرحيلي ، وتوصل الباحث إلى :

ملك الموت عزرائيل عليه السلام هادم اللذات ومفرق الجماعات في التوراة والإنجيل والقرآن ،منصور عبد الحكيم .

تعرض الباحثان للحديث عن ملك الموت بحيثرأطلق عليه اسم عزرائيل وهو المشهور لدى العامة ، وما أود أن أضيفه في هذا البحث هو تنقيح الاستدلالات المتعلقة بملك الموت ، بحيث تم استقراء النصوص وتحليلها من مصادرها الأصيلة الصحيحة و من ثم الرجوع إلى علماء العقيدة والتفسير للوقوف على حقيقة المُتَوَفِّي .

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

مَفْهُوْمُ المُتَوَفِّي فِي اللُغَةِ وَالاصْطِلَاح

المَطْلَبُ الأَوَّلُ

مَفْهُوْمُ المُتَوَفِّي فِي اللُغَةِ

المتـوفِّي فـي اللغـة مـأخوذ مـن مـادَّة (وفـي) يفـي وفـاءً فهـو واف، والوفاء ضد الغدر، يقال (وفي) و (وفَّى) بالعهد وفاءً.

وتُـوُفِّيَ فـلان وتَوَفَّـاه الله إذا قَـبَضَ نَفْسَـه، وتَـوَفِّي الميـتِ اسْـتِيفاء مُدَّتِـه التـي وُفِيـتْ لـه وعَـدَد أَيامِـه وشُـهورِه وأَعْوامـه فـي الـدُّنيا، وتَوَفَّيْـتُ المـالَ منـه واسْـتَوْفَيته إذا أَخذتـه كلّـه، وتَوَفَّيْـتُ عَـدَد القـومِ إذا عَـدَدْتهم كُلَّهـم([1])، ومـن ذلـك قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمـر:٤٢] ، أَي يَسْـتَوفي مُـدَد آجـالهم فـي الـدُّنيا، وقيـل يَسْـتَوْفي تَمـام عدَدِهم إِلى يوم القيامة.

وجـاء فـي معنـى تـوفى المـأخوذ مـن الفعـل وفـى ، (تـوفى) الله فلانـا قـبض روحـه وفـلان حقـه أخـذه وافيـا ويقـال توفيـت منـه مـالي لـم يبـق عليـه منـه شـيء والمـدة بلغهـا واسـتكملها وعـدد القـوم عـدهم كلهـم، و

[1] لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، ١٥/٤٠٠، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(استوفى) فلان حقه أخذه وافيا تاما ويقال استوفى منه ماله لم يبق عليه شيئا ([1]).

و ضبط الفعل "تَوَفَّى" بالبناء للمعلوم ، رغم أن الاستعمال الفصيح هو بناؤه للمجهول فقد جاءت القراءة القرآنية مصححة للنطق الحديث ،وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ۝٥ ﴾ الحج: ٥ ، فقد قرأها الأعمش وغيره: "وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى"، قال : أبو حيان في "البحر المحيط": أي يستوفي أجله.([2])

ويُبيّن أبو حيان المعنى في كلتا القراءتين فيقول : و قرىء يتوفى بفتح الياء أي يستوفي أجله، والجمهور بالضم أي بعد الأشد وقبل الهرم، وهو أرذل العمر والخرف ([3]).

---

[1] انظر المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ،١٠٤٧/٢ ، دار الدعوة ، د.ط ، د.ت.

[2] المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : د أحمد مختار عبد الحميد عمر، ص ٢١ ،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

[3] البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، ٤٨٦/٧ ، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

المَطْلَبُ الثَّاني

مَفْهُوْمُ المُتَوَفِّي فِي الاصْطِلَاح

المُتَوَفِّي اسم فاعل، هو من يتوفَّى الأنفس ويميتها و المُتَوَفِّي حقيقة هو الله تعالى، وقد يسند ذلك إلى الملائكة الذين كلَّفهم الله بقبض أرواح بني آدم ، يقول الشَّعرواي :" التَّوفِّي هو : قبض الأرواح يجيء مرَّة منسوباً لله سبحانه وتعالى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم﴾ [الأنعام: ٦٠] ، ومرَّة يأتي منسوباً لرسل من الله :﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ، ومرَّة يأتي منسوباً إلى مَلَك الموت وهو عزرائيل : ٱ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] "([1]) .

ويقول صاحب " التَّحرير والتَّنوير" : "والتَّوفِّي : الإماتة ، وسمِّيت توفيًّا ؛ لأنَّ الله إذا أَمات أحداً فقد توفَّاه أجلَه ، فالله المتوفِّي ، ومَلكُ الموتِ متوفٍّ أيضاً ؛ لأنَّه مباشر التوفّي"([2]) .

([1]) انظر: تفسير الشعراوي (٨/٤٧٤٣) .

([2]) انظر :التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٤) .

المَطْلَبُ الثَّالِثُ

مَعْنَى الوَفَاةُ وَالمَوْت وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا

أَوَّلاً : مَعْنَى الوَفَاةُ فِي اللغَةِ وَالاصْطِلَاح : وردت كلمة الوفاة باشتقاقاتها المختلفة في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرَّة ، منها قوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١] ، جاء في تهذيب اللغة " الْوَفَاةُ : الْمَوْتُ " (١) ، " وأصله توفيةُ الشَّيء إذا أخذته كلَّه " (٢) . قال الأزهري : " والوفاة: المَنِيّة. وتُوفِّي فلَان. وتوفَّاه الله، إِذا قَبض نَفْسه.

وَقَالَ غَيره: تَوَفِّي الْمَيِّت، بِمَعْنى: اسْتيفاء مُدَّته الَّتِي كُتبت من عَدد أَيّامه وشُهُوره وأعوامه فِي الدّنيا.

ويُقال: تَوَفَّيْت المالَ مِنْهُ، واسْتوْفيته، إِذا أَخَذته كُلّه، وتَوَفَّيْت عَدد الْقَوْم، إِذا عَدَدْتَهم كلهم؛ وأَنْشد أَبُو عُبيدة لِمَنظور الوَبْريّ:

إنّ بني الأَدْرم لَيسوا من أَحد وَلَا تَوفّاهم قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ

أَي: لَا تجعلهم قريشٌ تَمام عَددهمْ، وَلَا تستوفي بهم عَدَدَهم ، وَمن هَذَا قولُ الله عزّو جلّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

---

(١) انظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٧٢٣٢/١١) ، مختار الصحاح (ص٣٤٣) ، المعجم الوسيط (١٠٤٧/٢) .

(٢) انظر : التوقيف على مهمات التعاريف (ص٣٣٩) .

ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [الزمر : ٤٢] ، أَي: يَسْتَوْفِي مُدد آجالهم فِي الدُّنْيا " (١) .

قال الإمام القرطبي : " قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر:٤٢] ، أَيْ : يَقْبِضُهَا عِنْدَ فَنَاءِ آجَالِهَا ﴿وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ اخْتُلِفَ فِيهِ. فَقِيلَ: يَقْبِضُهَا عَنِ التَّصَرُّفِ مَعَ بَقَاءِ أَرْوَاحِهَا فِي أَجْسَادِهَا ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ ، وَهِيَ النَّائِمَةُ فَيُطْلِقُهَا بِالتَّصَرُّفِ إِلَى أَجَلِ مَوْتِهَا، قَالَ ابْنُ عِيسَى . وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْمَعْنَى وَيَقْبِضُ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِهَا. قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ تَوَفِّيهَا نَوْمَهَا، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ عَلَى هَذَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ وَفَاتُهَا نَوْمُهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ تَلْتَقِي فِي الْمَنَامِ فَتَتَعَارَفُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْهَا، فَإِذَا أَرَادَ جَمِيعُهَا الرُّجُوعَ إِلَى الْأَجْسَادِ أَمْسَكَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْأَمْوَاتِ عِنْدَهُ، وَأَرْسَلَ أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ إِلَى أَجْسَادِهَا. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْأَمْوَاتِ إِذَا مَاتُوا، وَأَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ إِذَا نَامُوا، فَتَتَعَارَفُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَتَعَارَفَ" فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرى " أَيْ يُعِيدُهَا " (٢) .

ثَانِيَاً : مَعْنَى المَوْتُ فِي اللغَةِ وَالاصْطِلَاح : قال في ابن فارس : " (مَوَتَ) الْمِيمُ وَالْوَاوُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ذَهَابِ الْقُوَّةِ مِنَ

(١) انظر : تهذيب اللغة (٤١٩/١٥) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)(٢٦٠/١٥) .

الشَّـيْءِ. مِنْـهُ الْمَـوْتُ : خِـلَافُ الْحَيَـاةِ ، وَإِنَّمَـا قُلْنَـا : أَصْـلُهُ ذَهَـابُ الْقُـوَّةِ ؛ لِمَـا رُوِيَ عَـنِ النَّبِـيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ : " مَـنْ أَكَـلَ مِـنْ هَـذِهِ الشَّـجَرَةِ الْخَبِيثَـةِ فَـلَا يَقْـرَبَنَّ مَسْـجِدَنَا، فَـإِنْ كُنْـتُمْ لَا بُـدَّ آكِلِيهَـا فَأَمِيتُوهَـا طَبْخًـا " ، وَالْمَوَتَانُ : الْأَرْضُ لَمْ تُحْيَ بَعْدُ بِزَرْعٍ وَلَا إِصْلَاحٍ " ([1]) .

وقـال الإمـام الجرجـاني : " المـوت: صـفة وجوديَّـة خُلقـت ضـدَّاً للحيـاة ، وباصـطلاح أهـل الحـقّ : قمـع هـوى الـنَّفس ، فمـن مـات عـن هـواه فقـد حَيَى بهداه " ([2]) .

و " المـوت لـيس بعـدم محـض ولا فنـاء صـرف ، وإنَّمـا هـو انقطـاع تعلُّـق الـرُّوح بالبـدن ومفارقتـه وحيلولـة بينهمـا ، وتبـدُّل حـال وانتقـال مـن دار إلى دار " ([3]) .

ثَالِثَاً :الفَرْقُ بَيْنَ الوَفَاة وَالمَوْت :

مـن خـلال اسـتقراء النُّصـوص الشَّـرعيَّة تبـيَّن لنـا ثمَّـة فـروق بـين الوفـاة والموت، منها :

(١) كلُّ متوفَّى ميِّت وليس كلُّ ميِّت متوفيًّا .

(٢) الوفاة أعمّ من الموت وهي لا تعني الموت ؛ لأنَّ الإنسان قد يعود إلى الحياة بعد الموت ، أمَّا الموت فلا عودة بعده إلى الحياة إلَّا بالبعث، ولذلك سمَّى الله تعالى النَّوم بالوفاة ، وهو سبحانه يتوفَّى الأنفس حين نومها، وكلّ

([1]) انظر : معجم مقاييس اللغة (٢٨٣/٥) ، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١٠١/٧ برقم ٦٤٩٦) .

([2]) انظر : التعريفات (ص٢٣٢) .

([3]) انظر : كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١١١/١-١١٢) .

نفس لم يُقَدِّر عليها الموت في منامها يرسلها إلى الحياة مرَّة أخرى ، أمَّا التي قضى عليها الموت فلا عودة لها ، قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر : ٤٢] ، فالوفاة على نوعين : صغرى وكبرى ، فالصُغرى هي النوم ، والكبرى هي : الموت .

(٣) أنّ الموت يقع مرَّة واحدة ، ويكون بانتهاء الأجل ومفارقة الرُّوح للجسد بلا عودة إلى الحياة الدُّنيا .

(٤) بالوفاة يتوقَّف قلم الحساب عن الكتابة ولا يعود للكتابة إلَّا بالاستيقاظ والعودة مجدَّدًا إلى الحياة ، فَعَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ "، وَقَدْ قَالَ حَمَّادٌ: " وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ "([1])، وأمَّا بالموت فيتوقَّف القلم عن الكتابة نهائيًّا ، ويطوى سِجلَّه .

([1]) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٤/٤١ برقم ٢٤٦٩٤) ، قال الأرنؤوط : " إسناده جيد، حماد الراوي عن إبراهيم النخعي: هو ابن أبي سليمان، ثقة إمام مجتهد كما قال الذهبي في "الكاشف": وكلام بعضهم فيه إنما هو لكونه من أهل الرأي. وقد روى له مسلم مقروناً، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح. عفان: هو ابن مسلم الصَّفَّار، وشيخه حماد: هو ابن سلمة،وإبراهيم: هو ابن يزيد النخعي، والأسود: هو ابن يزيد النخعي.

وأخرجه الدارمي (٢٢٩٦) ، وابن الجارود (١٤٨) ، وابن المنذر في "الأوسط" (٢٣٢٧)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢ / ٧٤، وفي "شرح معاني الآثار" ٢ / ٧٤، وفي ==

==

"شرح مشكل الآثار" (٣٩٨٧) من طريق عفان، بهذا الإسناد. وسقط من مطبوع "الأوسط" و"شرح المعاني" اسم أحد الحمادين.

وأخرجه النسائي في "المجتبى" ٦ / ١٥٦، وفي "الكبرى" (٥٦٢٥) ، وابن ماجه (٢٠٤١)، وابن الجارود (١٤٨) ، وأبو يعلى (٤٤٠٠) ، وابن حبان (١٤٢) ، وأبو الشيخ في "طبقات المحدثين" (١٠٠٠) ، والحاكم ٢ / ٥٩، والبيهقي في "السنن" ٦ / ٨٤ و٢٠٦ و٨ / ٤١ و١٠ / ٤١٧، وفي "الشعب" (٨٧) ، وابن عبد البر في "الاستذكار" ٢٥ / ٣١ من طرق عن حماد بن سلمة، به. إلا أنه سقط من إسناد "الاستذكار": اسم إبراهيم النخعي.

وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي " .

المَبْحَثُ الثَّانِي

النُّصُوْصُ القُرْآنِيَّةَ فِي حَقِيْقَةِ المُتَوَفِّي

المَطْلَبُ الأَوَّلُ

النُّصُوْصُ القُرْآنِيَّةَ فِي أَنَّ المُتَوَفِّي هُوَ الله

لقد جاءت بعض النصوص التي تفيد بأن من يقبض الأرواح هو الله تعالى ، وهذا ما جعلنا نقف عند استعراضنا للنصوص الدالة على أن هناك من يقبض الأرواح سوى الله وهم مَلَك الموت والملائكة ، وهو ما لو أسيء فهمه وأشكل على العقول عند فهمها لهذه النصوص لتبين منها أن الله يقبضُ الأرواحَ ، علما أنه هو من أوكل بتلك الوظيفة لملك الموت ، وللوقوف على حقيقة الفهم لا بد من استقراء النصوص من مصادرها الأصيلة لمعرفة حقيقة المتوفّي .

الآية الأولى : قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر:٤٢]

عند التَّوقُّف على معنى يتوفَّى نجدها قد جاءت بمعنى : " أَخْذُ الشَّيْءِ وَافِيًا كَامِلًا، فَمَنْ مَاتَ فَقَدْ وَجَدَ عُمُرَهُ وَافِيًا كَامِلًا، وَيُقَالُ: تُوُفِّيَ فُلَانٌ، وَتَوَفَّى إِذَا مَاتَ، فَمَنْ قَالَ: تُوُفِّيَ كَانَ مَعْنَاهُ قُبِضَ وَأُخِذَ وَمَنْ قَالَ: تَوَفَّى. كَانَ مَعْنَاهُ تَوَفَّى أجله واستوفى أكله وَعُمُرَهُ " (١) .

(١) انظر : مفاتيح الغيب (٤٥٧/٢٦) .

وعند النَّظر في الآية نجد أنَّ الله تعالى قد أسند التَّوفِّي إلى نفسه سبحانه ، وهذا ما ذهب إليه الرَّازي في أنَّ المتوفّي في الحقيقة هو الله وحده – سبحانه– مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقوله أيضاً : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] ([1]) .

والماتريدي يذهب إلى ما ذهب إليه الرَّازي في هذه الآية أن المتوفي هو الله، فكانت حقيقة التَّوفِّي والموت بالله ([2]).

ووافقهم ابن كثير واستدل بتفسير الآية ([3]) بحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ "([4]) .

([1]) المصدر نفسه (٤٥٧/٢٦) .

(٢)انظر : تأويلات أهل السنة : ٦٨٧/٨.

([3]) انظر : تفسير القرآن العظيم (٧، ١٠١–١٠٢) .

([4]) أخرجه البخاري (٧٠/٨ برقم ٦٣٢٠) .

أمَّا الزَّمخشري فيبيّن أنَّ التَّوفّي هو الإماتة وهو ما عبّر عنه بأنَّه : وتوفّيها: إماتتها، وهو أن يسلب ما هي به حيَّة حسَّاسة درَّاكة : من صحَّة أجزائها وسلامتها، لأنَّها عند سلب الصحَّة كأنَّ ذاتها قد سلبت " (١) .

وهنا وبعد استقراء تفسير هذه الآية لدى المفسِّرين نجدهم قد ذهبوا إلى القول : بأنَّ الله تعالى هو المتوفّي على الحقيقة .

فالمُميت : صفة من الصِّفات الوجوديَّة لله تعالى خلافاً للفلاسفة ومن وافقهم لقوله تعالى : ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحديد: ٢] ، ولكن لا يسمَّى بها الله ؛ لأنَّه لم يرد في كتاب الله ولا سنَّة نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن يخبر عنه أنَّه مميت كما ذكر ذلك أبو جعفر الطَّحاوي في عقيدته "ممُيت بلا مخافة(٢) "(٣) .

<u>الآية الثانية</u> : قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦].

فالمتأمل في هذه الآية يجد أن الله تعالى أضاف التَّوفّي لنفسه ؛ لأن "الفاعل في الآية ضمير مستتر تقديره نحن"(٤) أي : الله سبحانه تعالى.

---

(١) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل(١٣١/٤) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية : عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، اعداد :عبد الرحمن بن صالح السديس،٥٢، دار التدمرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

(٣) انظر : معجم ألفاظ العقيدة(ص ٣٩١) .

(٤) انظر : اعراب القرآن الكريم وبيانه (٢٦٥/٤) .

فالله تعالى بيَن في هذه الآية الكريمة لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه- إمّا أن يريه في حياته بعض ما يعد الكفار من النكال والانتقام ، أو يتوفاه قبل ذلك ([1]) .

ويقول الإمام الرزاي عند تفسيره لهذه لآية: "فاعلم أن قوله ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ جواب نَتَوَفَّيَنَّكَ، وجواب نُرِيَنَّكَ محذوف، والتقدير : وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك، أو نتوفينك قبل أن نرينك ذلك الموعد فإنك ستراه في الآخرة.

واعلم أن هذا يدل على أنّه تعالى يُري رسوله أنواعًا من ذل الكافرين وخزيهم في الدنيا وسيزيد عليه بعد وفاته ولا شك أنَّه حصل الكثير منه في زمان حياة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)وحصل الكثير أيضاً بعد وفاته والذي سيحصل يوم القيامة أكثر ، وهو تنبيه على أنَّ عاقبة المحقين محمودة ، وعاقبة المذنبين مذمومة"([2]) .

الآية الثَّالِثَة : قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠]

ونلاحظ في هذه الآية أنَّ الفاعل في قوله : ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾ هو الله تعالى، فالله نسب التَّوفّي في هذه الآية لنفسه، والمتأمِّل في هذه الآية يجد أنَّ معنى

([1]) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ١٥٩) .

([2]) انظر : مفاتيح الغيب (١٧/ ٨٥).

الوفاة هنا ليس الوفاة الحقيقيَّة التي يتوقَّف فيها جسم الانسان عن النمو والحركة، وإنَّما المقصود بالوفاة هنا: النَّوم .

يقول الشَّنقيطي : "وإطلاق الموت على النَّوم معروف في القرآن العظيم؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٦٠][١] ويُطلق العلماء على هذا النَّوع من الوفاة : الموت الأصغر ، وأمَّا الموت الحقيقي فيطلقون عليه الموت الأكبر .

ومن القائلين بذلك ابن كثير في تفسيره ، فقد قال : " يُخبر تعالى أنَّه يتوفَّى عباده في منامهم بالليل، وهذا هو التَّوفِّي الأصغر ، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥] ، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٤٢]، فذكر في هذه الآية الوفاتين : الكبرى والصُّغرى([٢]) .

<u>الآيَةُ الرَّابِعَةُ</u> : قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران:٥٥] .

([١]) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٦١) .

([٢]) مرجع سابق، تفسير ابن كثير ، (٣/ ٢٦٦) .

نلاحظ في هذه الآية الكريمة أنَّ الله عزَّ وجلَّ أسند قبض الأرواح إلى نفسه، ولكن لا يعني هنا مباشرة الفعل من الله ؛ بل المقصود أنَّ الله عزَّ وجلَّ قضى بموته، إذ لا يتمُّ أمرٌ إلَّا بيد الله، لأنَّ مباشر الوفاة هو مَلَك الموت. يقول ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] " أَيْ فَلَمَّا قَضَيْتَ بِوَفَاتِي، لِأَنَّ مُبَاشِرَ الْوَفَاةِ هُوَ مَلَكُ الْمَوْتِ. وَالْوَفَاةُ الْمَوْتُ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ أَمَاتَهُ، أَيْ قَضَى بِهِ وَتَوَفَّاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ قَبَضَ رُوحَهُ وَأَمَاتَهُ"(١) .

ثمَّ اختلف أهل التَّأويل في معنى"الوفاة " التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في هذه الآية(٢) .

(١) فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ وَفَاةُ نَوْمٍ، وَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ عَلَى مَذْهَبِهِمْ: إِنِّي مُنِيمُكَ، وَرَافِعُكَ فِي نَوْمِكَ .

(٢) وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: إِنِّي قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ، فَرَافِعُكَ إِلَيَّ، قَالُوا: وَمَعْنَى الْوَفَاةِ: الْقَبْضُ، لِمَا يُقَالُ: تَوَفَّيْتُ مِنْ فُلَانٍ مَا لِي عَلَيْهِ ، بِمَعْنَى: قَبَضْتُهُ وَاسْتَوْفَيْتُهُ، قَالُوا: فَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] ، أَيْ قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ حَيًّا إِلَى جَوَارِي، وَآخِذُكَ إِلَى مَا عِنْدِي بِغَيْرِ مَوْتٍ، وَرَافِعُكَ مِنْ بَيْنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ .

(٣) وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَفَاةَ مَوْتٍ .

---

(١) مرجع سابق: التحرير والتنوير، (٠٠٧/ ١١٧) ..

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٤٥٥/٦-٤٦٠) .

(٤) وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى، إِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَمُتَوَفِّيكَ بَعْدَ إِنْزَالِي إِيَّاكَ إِلَى الدُّنْيَا. وَقَالَ: هَذَا مِنَ الْمُقَدَّمِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّأْخِيرُ، وَالْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ([1])، وقال الماتريدي : اختلف فيه: قيل: هو على التقديم والتأخير: ورافعك إليَّ، ثم متوفيك بعد نزولك من السماء، ولكن هو التقديم والتأخير.([2])

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصِّحَّةِ عِنْدَنَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: إِنِّي قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ؛ لِتَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُقْتَلُ الدَّجَّالَ» ثُمَّ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ مُدَّةً ذَكَرَهَا اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ فِي مَبْلَغِهَا، ثُمَّ يَمُوتُ، فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ " .

واستدلَّ على ما ذهب اليه بالآثار التي تثبت أنَّ عيسى عليه السَّلام سيهبط إلى الأرض ويقتل المسيح الدجَّال ثمَّ يتوفَّاه الله عزَّ وجلَّ، ومن هذه الأدلَّة التي استدلَّ بها : الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: " الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ

([1]) انظر تفسير الطبري :٤٥٨/٦، وانظر تفسير الرازي : ٢٣٨/٨.

(٢) تفسير الماتريدي : تأويلات أهل السنة ، ٣٨٢/٢.

عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ " (١) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٥٣/١٥ برقم ٩٢٧٠) ، قال الارنؤوط : " حديث صحيح، عبد الرحمن بن آدم –وهو مولى أم بُرثُن– صدوق حسن الحديث، روى له مسلم حديثاً واحداً متابعةً وأبو داود، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، إلا أن قتادة مدلس وقد عنعن، وذكر ابن أبي حاتم في "المراسيل" (٦٣٣) عن أبيه، عن إسحاق بن منصور، عن ابن معين أنه قال: لم يسمع قتادة من عبد الرحمن مولى أم بُرثُن. فعلى هذا يكون الإسناد منقطعاً، ومع ذلك فقد صححه الحافظ ابن حجري في "الفتح" ٤٩٣/٦، وقال الحافظ ابن كثير في "نهاية البداية" ١٨٨/١: هذا إسناد جيد قوي! وأخرجه الحاكم ٥٩٥/٢ عن عفان بن مسلم، بهذا الإسناد. وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو داود (٤٣٢٤) ، وابن حبان (٦٨٢١) من طريق هدبة بن خالد، عن همام بن يحيى، به. ورواية أبي داود مختصرة.

وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٩١/٣ من طريق الحسن بن دينار، عن قتادة، به. وزاد: "وأنه خليفتي على أهلي". قلنا: والحسن بن دينار متروك. وأخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٤٥) وعنه ابن راهويه (٤٤) عن معمر، عن قتادة، عن رجل، عن أبي هريرة. والرجل المجهول هو عبد الرحمن بن آدم نفسه، فالحديث لا يحفظ عن أبي هريرة إلا من طريقه. وقوله: "الأنبياء إخوة لعَلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولي الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي"، سلف نحوه برقم (٧٥٢٩) من طريق الأعرج عن أبي هريرة، وذكرنا هناك بقية طرقه في "المسند". وقصة نزول عيسى ابن مريم وكسره الصليب، وقتله الخنزير، ووضعه الجزية سلفت برقم (٧٢٦٩) من طريق سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، وأحلنا هناك إلى بقية طرقه. وقوله: "ثم تقع الأمنة على الأرض ... الخ"، سيأتي من طريق آخر برقم (١٠٢٦١) بسند حسن في الشواهد. ويشهد لما وقع في هذا الحديث من أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض أربعين سنة حديث عائشة الذي سيأتي في مسندها ٧٥/٦، وصححه ابن ==

ووجه الاستدلال هو: أنَّه لو كان أماته الله عزَّ وجلَّ، لم يكن بالذي يميته مِيتةً أخرى، فيجمع عليه ميتتين، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّما أخبر عباده أنَّه يخلقهم ثمَّ يُميتهم ثمَّ يُحييهم، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم:٤٠] (١).

==

حبان (٦٨٢٢) ، وإسناده قوي، وأما ما وقع في "صحيح مسلم" (٢٩٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن مدة مكث عيسى عليه السلام تكون سبع سنين، ففي إسناده يعقوب بن عاصم بن عروة، لم يوثقه غير ابن حبان، وهو رجل غير مشهور، وقال ابن حجر في "التقريب": مقبول، أي: عند المتابعة والا فهو لين، ولم يتابعه على هذا أحد فيما نعلم، والله تعالى أعلم" .

(١) انظر تفسير الطبري :٦/٤٦٠.

المَطْلَبُ الثَّانِي

النُّصُوْصُ القُرْآنِيَّةَ فِي أَنَّ المُتَوَفِّي هُوَ مَلَك المَوْت

جاءت النُّصوص صريحة بذكر مَلَك الموت ، حتى بات مَلَك الموت في أذهان الكثيرين أنَّه مصدر خوف ورعب لهم ، مع أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وجَّه وأمر بأن نُكثر من ذكر الموت، ولم يجعل مَلَك الموت مخيفًا ومصدراً للرُّعب كما ترسَّخ في أذهان العامَّة ؛ لأنَّه مَلَك من ملائكة الله، والصُّورة الملائكيَّة المتعارف عليها هي صورة الحسن والبشارة واللون الأبيض ، واقترنوا جميعاً بالرَّحمة ، ولم تخرج طبيعة مَلَك الموت عن هذه الطَّبيعة ، لكن المهمَّة والوظيفة التي أوكلت إليه هي المُخيفة كونها تسلبهم النَّعيم والملذَّات ، مع أنَّهم لم يروه ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ) ([1]) .

([1]) أخرجه أحمد في المسند (٣٠١/١٣ برقم ٧٩٢٥) ، قال الأرنؤوط : " إسناده حسن، محمد بن عمرو –وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي– روى له البخاري مقروناً ومسلم متابعة، وهو حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إبراهيم – وهو ابن عثمان العبسي والد أبي بكر بن أبي شيبة– فمن رجال النسائي، وهو ثقة.

وأخرجه الخطيب في "تاريخه" ٣٨٤/١، والمزي في "تهذيب الكمال" ٣٢٠/٢٤ من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبية، بهذا الإسناد.

وأخرجه النسائي ٤/٤، والحاكم ٣٢١/٤ من طريق يزيد بن هارون، به، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي! مع أن مسلماً لم يحتج بمحمد بن عمرو.

وأخرجه نعيم بن حماد في زياداته على "الزهد" لابن المبارك برقم (١٤٦) ، وابن ماجه (٤٢٥٨) ، والترمذي (٢٣٠٧) ، وابن حبان (٢٩٩٢) و (٢٩٩٤) و (٢٩٩٥) ، والقضاعي في "مسند الشهاب" (٦٦٩) ، والخطيب ٤٧٠/٩ من طريق الفضل بن ==

وعند البحث عن مفهوم مَلَك الموت نجده : الموكَّل بقبض الأرواح عند الموت ([1]) ، وهذا يبيِّن ما ذهبنا إليه من أنَّه أضيف إلى المهمَّة الموكلة إليه، وهذا ما نجده في كتاب الله حينما قال : ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]

ويقبض الرُّوح رسولُ الموت ؛ أي : يخرجها من مقرِّها الملك الموكَّل بالموت ، وله أعوان .

==

موسى، وابن حبان (٢٩٩٣) ، والقضاعي (٦٦٨) و (٦٧٠) من طريق عبد العزيز بن مسلم، كلاهما عن محمد بن عمرو، به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وله شاهد من حديث أنس بن مالك عند البزار (٣٦٢٣) ، والطبراني في "الأوسط" (٦٩٥) ، وأبي نعيم في "الحلية" ٢٥٢/٩، والخطيب في "تاريخه" ٧٢/١٢-٧٣، والضياء في "المختارة" (١٧٠١) و (١٧٠٢) وفي أسانيدهم مقال.

وآخر من حديث ابن عمر عند القضاعي (٦٧١) ، وفيه القاسم بن محمد الأزدي لا يُعرف بجرح ولا تعديل.

وثالث من حديث عمر بن الخطاب عند أبي بعيم في "الحلية" ٣٥٥/٦، وفي سنده راوٍ لا يُدرى من هو.

ورابع من حديث أبي سعيد عند الترمذي (٢٤٦٠) ، وإسناده ضعيف.

وخامس من حديث زيد بن أسلم مرسلاً عند ابن المبارك (١٤٥) ، ومن طريقه البغوي في "شرح السنة" (١٤٤٧) .

قوله: "هاذم اللذات"، قال السندي: بالذال المعجمة، بمعنى قاطعها، أو بالمهملة من هَدَم البناء، والمراد الموتُ، وهو هاذم اللذات إما لأن من يذكره يزهد فيها، أو لأنه إذا جاء ما يبقي مِن لذائذ الدنيا شيئاً، والله تعالى أعلم " .

([1]) انظر : معجم ألفاظ العقيدة (ص ٣٨٧) .

وجاء عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا: لما اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلا ، سأل مَلَك الموت ربه يأذن له فيبشره بذلك ، فأذن له ، فجاء إبراهيم ، فبشره بذلك ، فقال: الحمد الله ، ثم قال: يا مَلَك الموت ، أرني كيف تقبض أنفاس الكفار؟ قال: يا إبراهيم لا تطيق ذلك ، قال: بلى ، قال: فأعرض ، ثم نظر، فإذا برجل أسود ينال رأسه السماء ، يخرج من فيه لهب النار ،ليس من شعرة في جسده إلا في صورة رجل، يخرج من فيه ومسامعه لهب النار فغشى على إبراهيم ثم أفاق ، وقد تحول مَلَك الموت في الصورة الأولى ، فقال: يا مَلَك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه، فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين ؟ قال: أعرض ، فأعرض ثم التفت فإذا هو برجل شاب أحسن الناس وجها، وأطيبهم ريحا، في ثياب بيضاء فقال: يا مَلَك الموت ، لو لم يرَ المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه([1]) .

ففي قوله تعالى :﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] نلاحظ أن الله تعالى في هذه الآية أسند التَّوفّي إلى مَلَك الموت، وهو شخص معين من الملائكة، وسمي في بعض الآثار عزرائيل.([2]) فيستوفي مَلَك الموت النفوس ولا يترك منها أحدًا.

([1]) انظر : شرح جوهرة التوحيد (ص٣٥٠) ، وانظر أيضاً : الحبائك في أخبار الملائك (ص٤١) .

([2]) انظر: تفسير القرآن العظيم(٦/٣٦٠-٣٦١) ، أضواء البيان (٦/١٨٤) .

ونسبة التَّوفِّي إلى مَلَك الموت باعتبار أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام يُباشر قبض الأنفس بأمر الله عزَّ وجلَّ ، كما يشير إليه قوله سبحانه : ﴿ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[السجدة: ١١] ، أي : بقبض أنفسكم ومعرفة انتهاء آجالكم ([1]) .

ومعنى الآية :"أي : يتوفَّاكم مَلَك الموت الذي وكِّل بقبض أرواحكم ثمَّ ترجعون إلى ربِّكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء ، وهذا معنى لقاء الله.[2]

والتوفِّي : استيفاء النَّفس ، وهي الرُّوح ، أي : يقبض أرواحكم أجمعين ، من قولك : «توفَّيت حقِّي من فلان» ، إذا أخذته وافيًا كاملاً من غير نقصان . وعن مجاهد : حويت لملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطُّست يتناول منها حيث يشاء . وقيل : مَلَك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثمَّ يأمر أعوانه بقبضها ، والله تعالى هو الآمر لذلك كلِّه ."([3]) .

([1]) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢٤/١١) .

[1] تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تحقيق وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، ٧/٣، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

([3]) انظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل(٣/ ٧) .

المَطْلَبُ الثَّالِثُ

النُّصُوْصُ القُرْآنِيَّة فِي أَنَّ المُتَوَفِّي هُمُ المَلَائِكَة

لقد خلق الله تعالى الملائكة وأمرنا بالإيمان بهم وجعل الإيمان بهم ركنًا من أركان الإيمان فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، فلا يكتمل إيمان المرء إلَّا بالإيمان بهم ، ومنكر وجودهم كافر ، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] ، ثمَّ إنَّ الله تعالى جعل لكلٍّ منهم وظيفة يقوم بها، ومن ضمن الوظائف التي وكل الله بها الملائكة : قبض الأرواح، قال تعالى حكاية عنهم في سورة الصَّافَّات: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الصافات: ١٦٤]

وعند استقراء القرآن الكريم نجد أنَّ هناك نصوصًا أضافت التَّوفِّي للملائكة ، ولكن المتعارف عليه والمشهور بين النَّاس أنَّ الملك الموكَّل إليه قبض الأرواح هو مَلَك الموت، إلَّا أنَّ الله تعالى بيَّن في آيات أُخرى أنَّ النَّاس تتوفَّاهم ملائكة لا مَلَك واحد ومن هذه النُّصوص :

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] ، وقوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٧] ، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ

عِبَادِهِۦ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وَإِيضَاحُ هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الْمُوَكَّلَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ مَلَكٌ وَاحِدٌ هُوَ الْمَذْكُورُ هُنَا، وَلَكِنْ لَهُ أَعْوَانٌ يَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِ يَنْتَزِعُونَ الرُّوحَ إِلَى الْحُلْقُومِ، فَيَأْخُذُهَا مَلَكُ الْمَوْتِ، أَوْ يُعِينُونَهُ إِعَانَةً غَيْرَ ذَلِكَ.

وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ الطَّوِيلِ الْمَشْهُورِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ فِيهِ: «أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ إِذَا أَخَذَ رُوحَ الْمَيِّتِ أَخَذَهَا مِنْ يَدِهِ بِسُرْعَةٍ مَلَائِكَةٌ فَصَعِدُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ» ، وَقَدْ بَيَّنَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تُعَامَلُ بِهِ رُوحُ الْمُؤْمِنِ وَرُوحُ الْكَافِرِ بَعْدَ أَخْذِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ حِينَ يَأْخُذُهَا مِنَ الْبَدَنِ، وَحَدِيثُ الْبَرَاءِ الْمَذْكُورُ صَحَّحَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَأَوْضَحَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِ «الرُّوحِ» بُطْلَانَ تَضْعِيفِ ابْنِ حَزْمٍ لَهُ (١) .

وقال الإمام البقاعي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] ، أي : تقبض أرواحهم كاملة (٢) .

وجاء في تفسير ابن كثير ما يؤكِّد ما سبق بيانه ، وهو أنَّ الملك الموكَّل بقبض الأرواح هو مَلَك الموت واسمه عزرائيل (٣) لكن له أعوان من

---

(١) انظر: أضواء البيان (١٨٤/٦) .

(٢) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٦٧/٢) .

(٣) قلت : لم يرد في حديث صحيح أنَّ اسم ملك الموت : عزرائيل ، وقد تضافرت آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم على تسميته عليه السلام بـ : ==

الملائكة فقال: وقد سمِّي –أي : مَلَك الموت– في بعض الآثار بعزرائيل، وهو المشهور، قاله قتادة وغير واحد: وله أعوان. وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها مَلَك الموت ([1]) .

فقبض أرواح النَّاس هي مهمَّة موكلة إلى ملائكة الموت، وكما يذكر الميداني أنَّهم ليس بواحد وإنَّما ملائكة ، وهذا يتَّضح عند الحديث عن أقسام ملائكة الموت ، فقد قسَّمها الله إلى قسمين: النَّازعات والنَّاشطات، وملك الموت هو رئيس هذا الصِّنف من الملائكة([2]) ، قال تعالى في سورة النَّازعات: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا * وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ [النازعات: ١– ٢] ، قال ابن مسعود وابن عباس، ومسروق، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وأبو الضُّحى، والسُّدي: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [النازعات: ١] ، الملائكة ؛ يعنون : حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعُنف فَتُغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ

==

ملك الموت، قال الله تعالى: قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ [السجدة:١١] .

قال الإمام ابن كثير : " وَأَمَّا مَلَكُ الْمَوْتِ فَلَيْسَ بِمُصَرَّحٍ بِاسْمِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا فِي الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ، وَقَدْ جَاءَ تَسْمِيَتُهُ فِي بَعْضِ الْآثَارِ بِعِزْرَائِيلَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انظر : البداية والنهاية (١٠٦/١) .

وقال المناوي : " ولم أقف على تسميته بذلك في الخبر " انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢١/٣) .

([1]) انظر: تفسير ابن كثير (٣٦١/٦).

([2]) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها (ص٢٤٦) .

روحه بسهولة ، وكأنَّما حَلَّته من نشاط، وهو قوله: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ [النازعات: ٢] ، قاله ابن عبَّاس([1]) .

وبناء على ما سبق بيانه نستطيع الجمع بين هذه النُّصوص وبين قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر:٤٢] ، وقوله : ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] ، وقوله: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] ، وبين قوله : ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] ، بأنَّ خالق الموت هو الله تعالى ، والرَّئيس المفوَّض إليه هذا العمل هو مَلَك الموت، وسائر الملائكة أعوانه([2]) .

([1]) انظر : تفسير ابن كثير (٣١٢/٨) .

([2]) انظر: مفاتيح الغيب (١٩٥/١١-١٩٦) .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

آرَاءُ عُلَمَاءِ العَقِيْدَةِ فِي حَقِيْقَةِ المُتَوَفِّي

لا بدَّ قبل استعراض آراء علماء العقيدة لبيان حقيقة المتوفِّي من أن نستهلَّ الحديث بمقدِّمة عقديَّة تتَّصل اتِّصالاً واضحًا حقيقًا ببيان حقيقة المتوفِّى، وهي أنَّ الله تعالى مالك أمر الدُّنيا والآخرة ، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣] ،والملك كما قال ابن كثير: "أي : المالك لجميع الأشياء المتصرِّف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة"(١) . ويقول ابن القيِّم: الملك الحقّ هو الذي يكون له الأمر والنَّهي فيتصرَّف في خلقه بقوله وأمره"(٢) . فالله تعالى هو مالك الملك وله الملك التَّام المطلق، وهو الذي يهب للمخلوق المُلك ، مع أنَّ مُلَك المخلوق ناقص يناسب نقصه ، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] ، ومن لوازم ملكيَّة الله المطلقة ، أنَّ ملكيته جلَّ جلاله تستلزم كونه المتصرِّف المدبِّر لأمور الخلق ، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]

فالمُلك الحق هو لله – جلَّ جلاله – فكل شيء تحت قهرة ويحدث بقدرته ويتحرَّك بأمره، ومن الأمور التي هي تحت القدرة الإلهيَّة موضوع قبض

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٧٩/٨) .

(٢) انظر : بدائع الفوائد(٩٧٢/٤).

الأرواح، فالله تعالى هو الذي خلق الموت والحياة ، فقال في كتابه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] ، وقال أيضاً :﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦] ،وقال أيضاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣] ، فيظهر من الآيات أنَّ الإحياء والإماتة من فعل الله تعالى، يقول الإمام الخطَّابي: " المُحيي : هو الذي يحيي النُّطفة الميِّتة فيخرج منها النَّسمة الحيَّة، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث ... والمميت: هو الذي يميت الأحياء ويوهن بالموت قوة الأصحاء الأقوياء"([1]) ، ثمَّ قال:" تمدَّح سبحانه بالإماتة كما تمدَّح بالإحياء ؛ ليُعلَم أنَّ مصدر الخير والشَّر والنَّفع والضُّر من قِبَلِه ، وأنَّه لا شريك له في الملك ، استأثر بالبقاء وكتب على خلقه الفناء"([2]) .

فعُلِم ممَّا سبق أنَّ الحياة والموت من الله .

وقد يعترض على هذا أنَّ الله أسند التَّوفِّي في آيات أخرى إلى مَلَك الموت، وفي آيات أخرى أسنده إلى الملائكة، فكيف لكم إزالة هذا اللبس الظَّاهر؟

وفي هذا المبحث سنُزيل اللبس الظَّاهر ، وذلك بالرُّجوع إلى آراء علماء العقيدة للتَّوفيق بين هذه الآيات.

يقول الإمام القرطبي :" فيجبُ على كلِّ مكلَّف أن يعلم أنَّ الله سبحانه هو المحيي والمميت على الإطلاق"([3]) . وهذا ما أكد عليه الامام الرَّازي بقوله:"

([1]) انظر : شأن الدعاء(ص٧٩-٨٠) .

([2]) المرجع السابق(ص٨٠) .

([3]) انظر : الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٣٨٤/١) .

خَلقُ الموت في الحقيقة من الله وفي عالم الأسباب مفوَّض إلى مَلَك الموت وله أتباع وأعوان، فتارة أضيف للأعوان وأخرى إلى الرَّئيس ، وأخرى إلى الخالق لأنَّه المؤثِّر في الحقيقة"([1]) .

فالله تعالى هو القابض لأرواح جميع الخلق بالحقيقة، وأنَّ مَلَك الموت وأعوانه من الملائكة إنَّما هم وسائط ([2]) .

يتبيَّن لنا مما سبق أنَّ الله تعالى لا يباشر قبض الأرواح بنفسه، وإنما أضاف ذلك إلى ملك الموت وأعوانه ، وهذا ما صرح به الإمام الباقلاني عندما أورد قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٤٢] ، فقال: "والمتوفِّي هو مَلَك الموت، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] ، لكن لمَّا كان توفِّيه لهم بأمره أضاف ذلك إلى نفسه"([3])

فالفعل يضاف إلى الآمر به وإن كان لم يفعله بنفسه، وإنَّما أمر بفعله ، ولقد جاء في السُّنَّة النَّبويَّة ما يقوِّي هذا ، وهو ما روي أنَّ رسولنا محمَّد صلى الله عليه وسلم رجم ماعزًا، والنَّبي صلى الله عليه وسلم لم يباشر الرَّجم بنفسه، لكن لمَّا أمر الصَّحابة جاز أن يضاف إليه([4]) .

([1]) انظر : لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات (ص٢٢٥) .

([2]) انظر : الإيمان والرد على أهل البدع (١/ ٧٥) .

([3]) انظر : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به(ص١٠٩) .

([4]) المرجع نفسه (ص١٠٩) .

وهذا ما ذهب إليه الطَّبري حيث بيَّن أنَّ الله عزَّ وجلَّ أوكل مهمَّة قبض الأرواح لملك الموت وأعوانه ، فقال : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ رَبَّكُمْ يَحْفَظُكُمْ بِرُسُلٍ يُعَقِّبَ بَيْنَهَا، يُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ بِحِفْظِكُمْ، وَبِحِفْظِ أَعْمَالِكُمْ إِلَى أَنْ يَحْضِرُكُمُ الْمَوْتُ وَيَنْزِلُ بِكُمْ أَمْرُ اللَّهِ، فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ أَحَدَكُمْ تَوَفَّاهُ أَمْلَاكُنَا الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ وَرُسُلُنَا الْمُرْسَلُونَ بِهِ وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ فِي ذَلِكَ فَيُضَيِّعُونَهُ ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوَلَيْسَ الَّذِي يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَكَيْفَ قِيلَ:﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[الأنعام: ٦١] ؟ ، وَالرُّسُلُ جُمْلَةٌ وَهُوَ وَاحِدٌ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ:آ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] ؟ قِيلَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى أَعَانَ مَلَكَ الْمَوْتِ بِأَعْوَانٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَيَتَوَلَّوْنَ ذَلِكَ بِأَمْرِ مَلَكِ الْمَوْتِ، فَيَكُونُ (التَّوَفِّي) مُضَافًا، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ أَعْوَانِ مَلَكِ الْمَوْتِ إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ، إِذْ كَانَ فِعْلُهُمْ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ، كَمَا يُضَافُ قَتْلُ مَنْ قَتَلَ أَعْوَانُ السُّلْطَانِ وَجَلْدِ مَنْ جَلَدُوهُ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ إِلَى السُّلْطَانِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ السُّلْطَانُ بَاشَرَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ وَلَا وَلِيَهُ بِيَدِهِ " ([1]) .

وعند الرُّجوع إلى " شرح العقيدة الطَّحاويَّة " تبيَّن لنا أنَّ هناك غاية أرادها الله من إعانة مَلَك الموت بأعوان من الملائكة، فمهمَّة مَلَك الموت قبض الرُّوح واستخراجها، وأمَّا أعوانه من الملائكة فإنَّهم يتولَّونها من بعده ، فلا يدعوها في يده طرفة عين، وفي ذلك يقول شارح " العقيدة الطَّحاويَّة" : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] . وَلَا تُعَارِضُ هَذِهِ الْآيَةُ قَوْلَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَـٰهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ،

([1]) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٤٠٩/١١-٤١٠) .

وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٤٢] ؛ لِأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَتَوَلَّى قَبْضَهَا وَاسْتِخْرَاجَهَا، ثُمَّ يَأْخُذُهَا مِنْهُ مَلَائِكَة الرَّحْمَة أَوْ مَلَائِكَة الْعَذَابِ، وَيَتَوَلَّوْنَهَا بَعْدَهُ، كُلُّ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَضَائِه وَقَدَرِه، وَحُكْمِه وَأَمْرِه، فَصَحَّتْ إِضَافَة التَّوَفِّي إِلَى كُلٍّ بِحَسَبِه" (١) .

وهذا ما وضَّحه الكلبي بقوله: " يقبض مَلَك الموت الرُّوح من الجسد ثمَّ يسلِّمها إلى ملائكة الرَّحمة إن كان مؤمنًا، وإلى ملائكة العذاب إن كان كافرًا، وهذا المعنى منصوص في حديث البراء"(٢) .

وقد يقع تساؤل: معلوم أن لا فاعل إلَّا الله تعالى، وأنتم هنا تثبتون الفعل لملك الموت وهو عبد لله، فإن كان مَلَك الموت فاعلاً للموت فكيف يكون الله فاعلاً له، وإن كان الله فاعلاً فكيف يكون مَلَك الموت فاعلاً له؟ فإنَّ ذلك غير مفهوم.!

يُجيب على هذا التَّساؤل الإمام الغزالي حيث قال: " نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد ، وإن كان له معنيان ويكون الاسم مجملاً مرداً بينهما لم يتناقض ، كما يقال : قتل الأميرُ فلانًا ، ويقال : قتله الجلَّاد ، ولكنَّ الأمير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر ، فكذلك العبد فاعل بمعنى والله عزَّ وجلَّ فاعل بمعنى آخر ، فمعنى كون الله تعالى فاعلاً : أنَّه المخترع الموجد ، ومعنى كون العبد فاعلاً أنَّه المحل الذي خلق فيه القدرة

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٨٤) .
(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٢١٣) .

بعد أن خلق فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم ، فارتبطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشَّرط بالمشروط ، وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلَّة وارتباط المخترع بالمخترع ، وكل ما له ارتباط بقدرة فإنَّ محلّ القدرة يسمَّى فاعلاً له كيفما كان الارتباط ،كما يسمَّى الجلَّاد قاتلاً والأمير قاتلاً ، لأنَّ القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين ، فلذلك سمّي فعلاً لهما ، فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ، ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرَّة إلى الملائكة ومرَّة إلى العباد ونسبها بعينها مرَّة أخرى إلى نفسه ، فقال الله تعالى في الموت :﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] ، ثم قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢] "(١)

فالله تعالى جعل مَلَك الموت فاعلاً للموت بما أحدث فيه من القدرة والمشيئة، وإحداث مَلَك الموت للموت بمعنى أنَّها قامت به وحدثت بإرادته وقدرته، وكلّ من الإحداثين مستلزم للآخر ولكن جهة الإضافة مختلفة ، فما أحدثه الرَّبُّ سبحانه من ذلك فهو تباين له قائم بالمخلوق مفعول له لا فعل، وما أحدثه العبد(أي مَلَك الموت) فهو فعل له قائم به يعود إليه حكمه ويشتقّ له منه اسمه(٢) .

فالله تعالى أضاف كثيرًا من الحوادث إليه وأضافها إلى بعض مخلوقاته كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ، وقال: ﴿قُلْ

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين (٢٥٦/٤) .

(٢) انظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل(ص١٧٦بتصرف يسير) .

﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] "، فأضاف فعل الموت لنفسه ؛ لأنَّه وقع بخلقه ومشيئته وقضاءه، وأضافه إلى سببه(مَلَك الموت) إذ هو الذي جعله سببه .

مما سبق يتبيَّن لنا أنَّ التَّوفِّي ، أسند مرَّة إلى الله عزَّ وجلَّ ، ومرَّة إلى عزرائيل ومرَّة إلى رسل الموت ، ولا تعارض في هذه الأقوال – كما رأينا– ؛ لأنَّ الأمر في كلِّ الأحوال يصدر من الله سبحانه وتعالى ، وينسب إلى المتلقِّي المباشر من الله وهو مَلَك الموت، ويُنسب إلى من يطلب منهم مَلَك الموت أن يقوموا بهذه العمليَّات ([1]) .

([1]) انظر: تفسير الشعراوي (٨/٤٧٤٣).

الخَاتِمَةُ

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبعد هذا التّطواف في كُتُب أهل العلم انتهينا بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث، وقد بذل الباحث فيه جهدا وطاقة وكانت الاستفادة منه فوائد جمّة وكثيرة، وتم التوصل به إلى النَّتائج الآتية:

(١) التَّوفّي بمعنى قبض الأرواح يأتي مرَّة منسوباً إلى الله، ومرَّة يأتي منسوباً إلى ملك الموت، ومرَّة يأتي منسوباً إلى الملائكة.

(٢) نسبة التَّوفّي إلى الله، باعتبار أنَّه الملك الحق ، فكلُّ شيء تحت قهرة ويحدث بقدرته ويتحرَّك بأمره.

(٣) نسبة التَّوفّي إلى مَلَك الموت، باعتبار أنَّه عليه السَّلام يُباشر قبض الأنفس بأمر الله عزَّ وجلَّ ؛ إذ إنَّه الرَّسول المباشر الذي كُلِّف بهذه المهمَّة من الله ؛ فالله تعالى جعل مَلَك الموت فاعلاً للموت بما أحدث فيه من القدرة والمشيئة .

(٤) نسبة التَّوفّي إلى الملائكة، باعتبار أنَّهم أعوان لملك الموت ويعملون بأمره.

وأخيرًا أحمد الله وأشكره أن أعاننا على إتمام هذا البحث، وإخراجه بهذه الصُّورة التي نرجو أن نكون قد وفّقنا في عرضه، وبيان أهم جوانبه على الوجه الصحيح و المطلوب ، والحمد والشكر له وحده على فضله .

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن

فِهْرِسُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ، دار المعرفة ، بيروت

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الصحابة للتراث ، طنطا، ط١، ١٩٩٥م.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت– لبنان، ١٩٩٥م

(٤) اعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين الدرويش، دار الارشاد السورية.

(٥) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، أبو بكر بن الطيب الباقلاني البصر، تحقيق: محمد زاهد الحسن الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢ ، ٢٠٠٠م.

(٦) الإيمان والرد على أهل البدع، عبد الرحمن بن حسن محمد بن عبد الوهاب ، ط٣، دار العاصمة، الرياض .

(٧) بدائع الفوائد ، ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة، ١٩٩٦م .

(٨) البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ، ١٩٩ م .

(٩) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، ط١، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ،١٩٩٧م .

(١٠) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، القرطبي ، تحقيق : الدكتور: الصادق بن محمَّد بن إبراهيم ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ، الرياض، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ .

(١١) تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، دار مطابع أخبار اليوم،١٩٩٧م

(١٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٢، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(١٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي ، تحقيق: د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.

(١٤) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تحقيق وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، ٧/٣، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(١٥) تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

(١٦) التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ،١٩٩٠م .

(١٧) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

(١٨) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م .

(١٩) جوهرة التوحيد ، ابراهيم الباجوري ،

(٢٠) الحبائك في أخبار الملائك ، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٨٥م.

(٢١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي ، تحقيق: على عبد البارى عطية، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٥هـ.

(٢٢) شأن الدعاء ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٨٤م

(٢٣) شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد ، ، تحقيق: أحمد شاكر ، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية ، والأوقاف والدعوة والإرشاد ، السعودية ، ١٤١٨هـ .

(٢٤)شرح العقيدة الطحاوية : عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، اعداد :عبد الرحمن بن صالح السديس،٥٢، دار التدمرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

(٢٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزية ، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .

(٢٦) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني ، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري ورفاقه ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩م .

(٢٧) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢٨) العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبدالرحمن حسن حبنكة، ط٧، دار القلم، دمشق ١٩٩٤م.

(٢٩)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .

(٣٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ هـ .

(٣١) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات ، الرازي ، تصحيح: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي،ط١، المطبعة الشرقية، مصر، ١٣٢٣هـ.

(٣٢) مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية، بيروت ، صيدا ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(٣٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق: يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب ، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

(٣٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

(٣٥) معجم ألفاظ العقيدة ، أبو عبدالله عامر عبدالله فالح، مكتبة العبيكان ، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.

(٣٦) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق : عبد السَّلام محمَّد هَارُون ، اتحاد الكتاب العرب ، الطبعة : ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢م .

(٣٧) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة .

(٣٨) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣، ١٤٢٠هـ.

(٣٩) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى، دار الكتب العلمية . بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م .